المحاضرة الثانية:

تاريخ الاستشراف

تطورت الدراسات المستقبلية على مدار ثلاث مراحل أساسية هي:

أولا: مرحلة الكهانة: و هي المرحلة التي تميزت بالاعتماد على الكهنة و المنجمين و العرافين في بناء تصورات حول المستقبل المنظور، فقد لجأ الأفراد و الحكام في فترات مختلفة عبر التاريخ إلى الكهنة قصد استباق الأحداث و العلم بها اعتقادا منهم أن هؤلاء الكهنة هم اقرب إلى المعرفة بالأمور الغيبية و من ثم فهم الأكثر قدرة على معرفة ما يختبئ في باطن الزمن من أمور لا يمكن للفرد العادي إدراكها.

و على سبيل المثال استعان بعض حكام الإمبراطورية الرومانية بالكهنة من اجل الكشف عن المؤامرات ضد الإمبراطور، و استعان بهم الفراعنة من اجل الاستعداد لأي كارثة أو أهوال تسببها القوى الغيبية.... و الأكثر من ذلك حاولت العديد من الحضارات الاستعداد للمستقبل –انطلاقا من الخوف منه– من خلال بناء الصوامع و حشد الجيوش استعدادا لمعارك قادمة، بناء السدود...

كما قد تسمى هذه المرحلة بمرحلة اليوتوبيا التي تعتمد على غريزة الإنسان وأمله وطموحه، وحيثيات البيئة التي انطلق منها هذا الخيال مرتبطة بالتفاؤل والتمني الإنساني مع عدم استنادها إلى أسس أو مناهج معينة معدة مسبقاً، مما يبعد هذه المرحلة عن الواقع ويجعلها في منظور الخيال. و قد ساهم في إعداد هذه التصورات المثالية المتفائلة جملة من الفلاسفة و الباحثين، فقد تنبأ العلماء بالمجتمع العالمي و بمجتمعات فاضلة كتلك التي وصفها توماس مور في مؤلفه اليوتوبيا، أفلاطون في دولته الفاضلة و الفرابي و ايمينويل كانت، كارل ماركس...

ثانيا: مرحلة التخطيط:

بدأت هذه المرحلة بعد ما يعرف بالثورة الصناعية و ما أفرزته من آثار علمية من خلال التأكيد على المناهج العلمية في دراسة الظواهر المختلفة، و قد مثلت الخطة الخماسية لحكومة الإتحاد السوفيتي في عام 1921 لتعميم الكهرباء على معظم مناطق الاتحاد السوفييتي نقطة التحول الأساسية في هذه المرحلة، فعلى الرغم من إستهجان فكرة الخطة ومدى صعوبة تنفيذها للشك في إمكانية التحكم في مسار الأحداث لخمس سنوات، إلا أن نجاحها وضع بصمة جديدة في مجال التخطيط بعيد المدى، وفتح المجال أمام دراسة التغير والتكيف وكيفية التفاعل بينهما، وأيضاً نجاح الخطة تركت أثرها على الباحثين الغربيين، وتبلور ذلك بداية بظهور مجلة **الغد (Tomorrow)** في بريطانيا عام 1938، ومما لفت الانتباه في هذه

المجلة تأكيدها على ضرورة إنشاء وزارة للمستقبل في بريطانيا. إلى جانب ذلك اتسع العمل بالخطط الخماسية و أسست خطط تنموية لفترات زمنية أطول منها.

وبعد الحرب العالمية الثانية والنظرة التشاؤمية التي انتشرت و أثرت على أساليب التفكير المستقبلي، مما أدى لعدم تشجيع الباحثين على الدراسات المستقبلية، إلا أن عدداً من الفلاسفة وفي طليعتهم الفيلسوف الفرنسي **غاستون بيرغر(Gaston Berger)**، تحدى هذه النظرة وأنشأ المركز الدولي للإستشراف (Centre International de Prospective)عام 1957 بهدف تشجيع الباحثين للتفكير في الغد بنظرة أكثر تفاؤلاً، والتي تركزت جهوده على عدم الفصل بين الظاهرة الاجتماعية والتطور التكنولوجي والربط بينهما، وأثر كل منها على الأخرى، والتركيز على كيفية إيجاد طرائق بحثية تربط بين التطور التقني والتطور الاجتماعي المستقبلي والذي تجلى بشكل كبير في بعض التقنيات المعروفة مثل تقنية دلفي**(Delphi Technique)** ، أو مصفوفة التأثير المتبادل(**Cross Impact Matrix)** ، هذا ما أدى إلى تحول واضح في مناهج البحث في الدراسات المستقبلية.

ثالثا: مرحلة الدراسات المستقبلية الثورية و العالمية:

حيث تعتمد على المرحلة على التطور التكنولوجي الذي شهدته و ما زالت تشهده المجتمعات الإنسانية و تراهن عليه في بناء مستقبلاتها، فقد تصور احد العلماء السوفييت نيجفاكن negfakn التابع لأكاديمية العلوم السوفياتية أن العالم سيشهد تطورا هائلا في علم الجينات و القدرة على التحكم بالخصائص الوراثية للذكاء.... كما تصور الفن توفلر Tofflerأن ثمة إمكانية مستقبلية لربط العقل البشري بسلسلة من الأجهزة للرقابة و العمل... و إمكانية فصله عن الجسد.. و تصور أن اليابانيين سيكونون السباقين في هذا الميدان...

و مهما اختلفت هذه التصورات المستقبلية إلا أن الأكيد فيها هو المراهنة على دور التكنولوجيا في بناء و توجيه مستقبل العلاقات الإنسانية.

كما تسمى هذه المرحلة أيضا بمرحلة النماذج العالمية بمعنى أن الدراسات المستقبلية أصبحت تتمحور حول المشكلات العالمية الطابع و ذلك بسبب تصاعد المعضلات أو المشاكل الدولية كظاهرة الزيادة السكانية و استنزاف الموارد الطبيعية و الفقر.. ، على اعتبار أن المؤسسات الدولية أصبحت عاجزة عن التصدي لهذه المشكلات.